بسم الله الرحمن الرحيم

إِشْرَاقَةُ المَوْلِدِ

الْحَمْدُ للهِ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ، وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ، وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ، وَنَشْهَدُ أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، مَنَّ عَلَيْنَا بِبِعْثَةِ سَيِّدِ الأَنَامِ وَمِصْبَاحِ الظَّلامِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، أَكْرَمُ النَّاسِ مَنْزِلاً، وَأَعْلاهُمْ خُلُقًا، وَأَخْلَصُهُمْ سَرِيرَةً، وَأَعْدَلُهُمْ سِيرَةً، وَأَزْكَاهُمْ نَفْسًا، وَأَشْرَفُهُمْ مَحتِدًا، أَخْرَجَ اللهُ بِهِ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ، وَفَتَحَ اللهُ بِهِ فَتْحًا مُبِينًا، وَأَقَامَ لِلأُمَّةِ عِزًّا مَكِينًا، ﷺ وعَلَى آلِهِ الطَّاهِرِينَ، وَصَحْبِهِ الأَكْرَمِينَ، وَعَلَى تَابِعِيهِمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا عِبَادَ اللهِ:

اتَّقُوا اللهَ تَعَالَى، وَاعلَمُوا أَنَّ ذِكْرَى مَوْلِدِ المُصْطَفَى ﷺ كُلُّهَا خَيْرٌ وَبَرَكَةٌ وَكَرَامَةٌ، إِذْ خَصَّ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ نَبِيَّهُ ﷺ بِخَصَائِصَ، وَبَسَطَ لَهُ مِنْ يَنَابِيعِ الفَضَائِلِ الظَّاهِرَةِ وَالبَاطِنَةِ مَا كَشَفَ بِهِ القُلُوبَ وَالبَصَائِرَ، وَأَسْمَعَ بِهِ الآذَانَ، وَفَتَحَ لأُمَّتِهِ الآفَاقَ، وَأُوتِيَتْ هَذِهِ الأُمَّةُ بِإِشْرَاقَةِ مَبْعَثِهِ – عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ – خَيْرًا كَثِيرًا، فَقَدْ رُفِعَ عَنْهَا الآصَارُ وَالأَوزَارُ، وَغُفِرَتْ ذُنُوبُهَا، وَضُوعِفَتْ أُجُورُهَا، يَقُولُ سُبْحَانَهُ فِي مُحْكَمِ التَّنْزِيلِ: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[1]، إِنَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ ﷺ نُورُ الهِدَايَةِ الَّذِي بَدَّدَ غَيَاهِبَ الظُّلُمَاتِ، وَشَيَّدَ لِلنَّاسِ حَضَارَةً دِعَامَتُهَا الأَخْلاقُ وَالعَدْلُ وَالرَّحْمَةُ وَالمُسَاوَاةُ، كَانُوا فِي غَيَاهِبِ الظُّلُمَاتِ فَصَارُوا بِشَرِيعَتِهِ فِي نُورٍ مُبِينٍ، وَكَانُوا مُتَفَرِّقِينَ فَانْقَلَبُوا مُتَّحِدِينَ، وَكَانُوا ضِعَافًا فَأَصْبَحُوا أَقْوِيَاءَ مُتَرَابِطِينَ،

(١) سورة الأعراف/ ١٥٧.

كَانُوا فِي مُؤَخِّرَةِ الرَّكْبِ فَصَارُوا فِي مُقَدِّمَتِهِ، وَكَانُوا بِلا حَضَارَةٍ فَأَضْحَوا رُوَّادَ الحَضَارَةِ، لَقَد تَلاشَتْ بِمَبْعَثِهِ جَمِيعُ صُوَرِ الظُّلْمِ وَالقَهْرِ وَالسَّلْبِ وَالعُدْوَانِ، وَحَلَّ مَحَلَّهَا العَدْلُ وَالرَّحْمَةُ وَالمُسَاوَاةُ وَالإِخَاءُ، وَالصَّفَاءُ وَالنَّقَاءُ، إِنَّ الدِّينَ الَّذِي جَاءَ بِهِ نَبِيُّنَا ﷺ لَمْ يُكْرِمِ الكَبِيرَ عَلَى حِسَابِ الصَّغِيرِ، وَلا الرَّجُلَ عَلَى حِسَابِ المَرْأَةِ، بَلْ أَكْرَمَ الجَمِيعَ، وَعُنِيَ بِالمَرْأَةِ كَمَا عُنِيَ بِالرَّجُلِ، أَخْرَجَهَا مِنْ قُيُودِ الجَاهِلِيَّةِ فَصَارَتْ سَيِّدَةً مُكَرَّمَةً، وَعَزِيزَةً مُبَجَّلَةً، وَفَرَضَ لَهَا مِنَ الحُقُوقِ أُمًّا كَانَتْ أَوْ زَوْجًا أَوْ بِنْتًا أَوْ أُخْتًا، وَكَانَ آخِرُ وَصِيَّتِهِ ﷺ عِنْدَ صُعُودِ أَنْفَاسِهِ الطَّاهِرَةِ: ((اتَّقُوا اللهَ فِي النِّسَاءِ، فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانَةِ اللهِ، وَاستَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللهِ))، لَقَدْ أَوْصَى بِرَحْمَتِهَا وَتَكْرِيمِهَا وَتَبْجِيلِهَا، بَلِ اتَّسَعَ التَّكْرِيمُ لِكُلِّ مَا فِي هَذَا الوُجُودِ مِنْ مَخْلُوقَاتٍ، إِذْ وَجَّهَ نَبِيُّ الرَّحْمَةِ -عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلاةِ وَالسَّلامِ- إِلَى رِعَايَةِ حُقُوقِهَا، وَالمُحَافَظَةِ عَلَى خَيْرَاتِهَا؛ حَتَّى تَسِيرَ فِي نِظَامٍ لا تَنْحَرِفُ عَنْهُ وَلا تَحِيدُ.

أَيُّهَا المُسلِمُونَ:

إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، فَكُلُّ ذَرَّةٍ فِي هَذَا الوُجُودِ مَشْمُولَةٌ بِشَيْءٍ مِنْ رَحَمَاتِ مَبْعَثِهِ - عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ -، يَقُولُ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾[1]، هَذِهِ الرَّحْمَةُ النَّبَوِيَّةُ الَّتِي حَنَتْ عَلَى الشَّاةِ العَجْمَاءِ، وَالطَّيْرِ فِي السَّمَاءِ، وَامتَدَّتْ لِلْبِيئَةِ فَأَمَرَ - عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلاةِ وَالتَّسلِيمِ - بِغَرْسِ الشَّجَرِ وَرِعَايَةِ الثَّمَرِ، وَنَهَى عَنْ وَطْءِ الزَّرْعِ بِالأَقْدَامِ، وَحَضَّ عَلَى تَنْظِيفِ الأَفْنِيَةِ أَمَامَ البُيُوتِ؛ صِيَانَةً لِلْبِيئَةِ لِتَبْقَى عَلَى صَفَائِهَا وَنَقَائِهَا. وَإِذَا كَانَ هَذَا لِغَيْرِ الإِنْسَانِ، فَكَيْفَ بِالإِنْسَانِ الَّذِي كَرَّمَهُ رَبُّهُ جَلَّ جَلالُهُ؟ إِنَّ اللهَ تَعَالَى أَرْسَلَ رَسُولَهُ ﷺ بِشَرِيعَةٍ أَقَامَتْ لِلإِنْسَانِ حَيَاتَهُ، وَوَجَّهَتْ طَرِيقَهُ، وَنَمَّتْ طَاقَاتِهِ فِي الإِعْمَارِ وَالبِنَاءِ وَالعَطَاءِ، وَهَذَّبَتْ سُلُوكَهُ وَوَجَّهَتْهُ الوِجْهَةَ الصَّحِيحَةَ، فَعَلَّمَنَا ﷺ العِنَايَةَ بِصِحَّتِنَا وَنَظَافَتِنَا، وَأَدَّبَنَا بِآدَابٍ رَاقِيَةٍ فِي طَعَامِنَا وَشَرَابِنَا، فِي نَوْمِنَا وَيَقَظَتِنَا، فِي سَيْرِنَا وَرُكُوبِنَا، فِي اكتِسَابِنَا لِلرِّزْقِ وَعَمَلِنَا، حَتَّى جَعَلَ بِشَرِيعَتِهِ كُلَّ أَعْمَالِنَا

(١) سورة الأنبياء / ١٠٧.

نَافِعَةً، مَرْبُوطَةً بِطَاعَةِ اللهِ وَعِبَادَتِهِ، فَأَرْشَدَنَا إِلَى كُلِّ خَيْرٍ، وَنَهَانَا عَنْ كُلِّ شَرٍّ، وَوَجَّهَنَا لِلنَّافِعِ وَحَذَّرَنَا مِنْ كُلِّ ضَارٍّ، كُلُّ تِلْكَ المَنْظُومَةِ العَمَلِيَّةِ الخُلُقِيَّةِ جَعَلَتِ الإِنْسَانَ فِي أَسْمَى المَرَاتِبِ وَأَرفَعِ المَنَازِلِ، تَحقِيقًا لِلتَّكْرِيمِ الرَّبَّانِيِّ: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾(١).

أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ:

إِنَّ شَمَائِلَ النَّبِيِّ ﷺ لَتُنْبِئُ عَنْ عَظَمَتِهِ فِي مُعَامَلَتِهِ لِلنَّاسِ جَمِيعًا، مَعَ الضَّعِيفِ وَالقَوِيِّ، وَمَعَ الفَقِيرِ وَالغَنِيِّ، وَمَعَ الخَاصِّ وَالعَامِّ، إِنَّكَ لَتَعْجَبُ مِنْ سُمُوِّ مُعَامَلَتِهِ مَعَهُمْ، حَتَّى انقَادُوا لَهُ بِتَوَاضُعِهِ وَحِكْمَتِهِ، وَمَعْرُوفِهِ وَرَحْمَتِهِ، كَيْفَ لا؟ وَهُوَ نَبِيُّ الرَّحْمَةِ، وَمِنْ سُؤَالِهِ لِرَبِّهِ يَوْمَ القِيَامَةِ: ((يَا رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي)) رَحْمَةً بِأُمَّتِهِ وَشَفَقَةً عَلَيْهَا، لَقَدْ رَحِمَهَا فِي حَيَاتِهِ، وَرَحِمَهَا بَعْدَ وَفَاتِهِ، فَقَدْ كَانَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ يَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَهُ، وَيُعْطِي مَنْ حَرَمَهُ، وَيَصِلُ مَنْ قَطَعَهُ، وَكَانَ يُسَاوِي بَيْنَ النَّاسِ فِي المُعَامَلَةِ وَلا يُحَابِي أَحَدًا عَلَى أَحَدٍ، وَيُقِيمُهُمْ عَلَى الحَقِّ وَالصِّدْقِ، وَيُحَذِّرُهُمْ مِنَ الاغْتِرَارِ بِأَنْسَابِهِمْ مَعَ تَضْيِيعِهِمْ لِلْعَمَلِ الصَّالِحِ، يَقُولُ ﷺ: ((يَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللهِ: لا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئًا، وَيَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ: سَلِينِي مَا شِئْتِ مِنْ مَالِي، لا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئًا))، وَيَقُولُ: ((مَنْ أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ))، وَيُوَجِّهُ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلاةِ وَأَزْكَى التَّسلِيمِ أُمَّتَهُ لِكَيْ تَفْتَحَ الآفَاقَ، وَتَستَشْرِفَ المُستَقْبَلَ، لِذَلِكَ كَانَتْ وَصَايَاهُ لِقُوَّادِهِ عِنْدَمَا يَغْزُونَ أَعْدَاءَهُمْ: ((انْطَلِقُوا بِاسْمِ اللهِ وَبِاللهِ وَعَلَى مِلَّةِ رَسُولِ اللهِ، لا تَقْتُلُوا شَيْخًا فَانِيًا، وَلا طِفْلاً وَلا صَغِيرًا وَلا امرَأَةً، وَأَصْلِحُوا وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ المُحْسِنِينَ))، فَيَا لَهَا مِنْ رَحْمَةٍ شَمِلَتْ جَمِيعَ النَّاسِ، وَبَسَطَتِ الخَيْرَ فِي رُبُوعِ الأَرْضِ حَتَّى دَخَلَ النَّاسُ فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجًا. إِنَّهُ ﷺ رَسُولُ رَبِّ العَالَمِينَ، وَسَيِّدُ الخَلْقِ أَجْمَعِينَ، وَمَعَ ذَلِكَ لا يُحِبُّ المُفَاخَرَةَ وَالمُبَاهَاةَ، وَعِنْدَمَا دَخَلَ رَجُلٌ عَلَيْهِ ﷺ يَسْأَلُهُ ارتَجَفَ مَهَابَةً لَهُ، فَسَكَّنَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ مِنْ رَوْعِهِ، وَقَالَ لَهُ: ((هَوِّنْ عَلَيْكَ، فَإِنَّمَا أَنَا ابْنُ امرَأَةٍ كَانَتْ تَأْكُلُ القَدِيدَ بِمَكَّةَ))، وَكَانَ -عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ - يَجْلِسُ حَيْثُ

(١) سورة الإسراء / ٧٠.

انتَهَى بِهِ المَجْــلِسُ، وَلا يُقِيمُ أَحَدًا مِنْ مَجْلِسِهِ، وَلا يُحِبُّ أَنْ يَتَنَحَّى لَهُ أَحَدٌ عَنْ مَكَانِهِ؛ لأَنَّهُ لا يُحِبُّ أَنْ يَتَمَيَّزَ عَنْهُمْ، هَذَا هُوَ نَبِيُّنَا الكَرِيمُ الَّذِي وُلِدَ يَتِيمًا وَفَقِيرًا، فَآوَاهُ اللهُ إِلَيْهِ وَأَغْنَاهُ، يَقُولُ تَعَالَى: ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ، وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ،وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ﴾(١)، لَقَد تَغَلَّبَ بِعَوْنِ اللهِ عَلَى كُلِّ العَقَبَاتِ وَالنَّكَبَاتِ، وَهَكَذَا الإِنْسَانُ النَّاجِحُ لا تَزِيدُهُ المَصَائِبُ إِلاَّ عَزِيمَةً وَتَصْمِيمًا، وَإِقْدَامًا وَمُضِيًّا، لإِنْجَاحِ مَا يَصْبُو إِلَيْهِ مِنْ مَجْدٍ وَسُؤْدَدٍ وَخَيْرٍ وَعَطَاءٍ وَبِنَاءٍ. كَانَ – عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ – مَضْرِبَ المَثَلِ فِي النَّظَافَةِ وَالهِمَّةِ وَالعَزْمِ، يَعتَنِي بِنَظَافَةِ نَفْسِهِ حَتَّى يَكُونَ فِي قِمَّةِ الطُّهْرِ، وَلا يُسِيءُ إِلَى أَحَدٍ، يَقُولُ أَنَسٌ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ–: ((مَا شَمَمْتُ رِيحًا أَطْيَبَ مِنْ رِيحِ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، وَلا لَمَسْتُ كَفًّا أَلْيَنَ مِنْ كَفِّهِ ﷺ ، وَمَا ضَرَبَ بِيَدِهِ رَجُلاً وَلا امرَأَةً))، هَذَا هُوَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَظِيمٌ فِي شَخْصِهِ، وَعَظِيمٌ فِي دَعْوَتِهِ، وَسِعَ بِقَلْبِهِ الكَبِيرِ القَرِيبَ وَالبَعِيدَ، وَالعَدُوَّ وَالصَّدِيقَ.

عِبَادَ اللهِ:

إِنَّ مَبَادِئَ النَّبِيِّ ﷺ هِيَ مَبَادِئُ الحَضَارَةِ وَالرُّقِيِّ وَالتَّقَدُّمِ، وَبِذَلِكَ دَفَعَ النَّبِــيُّ – عَلَيْــهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ – بِأُمَّــتِهِ لِتَكُونَ فِي مُقَدِّمَةِ مَصَافِّ الأُمَمِ، فِي رُقِيِّ فِكْرِهَا وَسُمُوِّ أَخْلاقِهَا، وَتَنَوُّعِ مَعَارِفِهَا وَكَثْرَةِ خَيْرِهَا، لَقَدْ جَاءَ ﷺ بِمَبَادِئَ لَوْ طَبَّــقَتْهَا البَشَرِيَّةُ لَحَلَّتْ مُــشْكِلاتِهَا، وَلَسَادَ العَالَمَ التَّصَافِي وَالمَحَبَّةُ وَالإِخَاءُ وَالاحتِرَامُ.

فَعَلَيْنَا – أَيُّهَا المُسلِمُونَ– أَنْ نَفْتَخِرَ بِهَذِهِ المَبَادِئِ، وَأَنْ نُفَاخِرَ بِهَا العَالَمَ بِأَسْرِهِ، وَأَنْ نُرَبِّيَ أَبنَاءَنَا عَلَى شَمَائِلِهِ ﷺ وَصِفَاتِهِ وَمَبَادِئِهِ وَقِيَمِهِ، حَتَّى تَكُونَ لَنَا الكَلِمَةُ الصَّادِقَةُ وَالعَمَلُ النَّاجِحُ، فَهَذَا هُوَ المِيرَاثُ وَالكَنْزُ الزَّاخِرُ الَّذِي تَرَكَهُ لَنَا سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ ﷺ ، وَإِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ شَاهِدٌ عَلَيْنَا يَوْمَ القِيَامَةِ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾(٢).

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ العَظِيمَ لِي وَلَكُمْ، فَاسْتَغْفِرُوهُ يَغْفِرْ لَكُمْ إِنهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ، وَادْعُوهُ يَسْتَجِبْ

(١) سورة الضحى / ٦–٨.

(٢) سورة آل عمران / ١٩.

لَكُمْ إِنهُ هُوَالبَرُّالكَرِيمُ.

*** *** ***

الحَمْدُ للهِ الَّذِي أَمَرَ بِالتَّعَفُّفِ، ونَهَى عَنِ الغُلُوِّ وَالتَّكَلُّفِ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلَى المَبْعُوثِ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، الَّذِي خَاطَبَهُ رَبُّهُ بِقَولِهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾(١)، ﷺ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا عِبَادَ اللهِ:

لَقَدْ كَانَ الرَّسُولُ ﷺ نَقِيًّا طَاهِرًا فِي بَاطِنِهِ وَسَرِيرَتِهِ، وَفِي أَخْلاقِهِ وَسِيرَتِهِ، يَمْضِي فِي كُلِّ ذَلِكَ عَلَى سَجِيَّـتِهِ، يَكْرَهُ التَّصَنُّعَ الذَّمِيمَ، وَيُحِبُّ مِنَ الأَخْلاقِ كُلَّ خُلُقٍ نَبِيلٍ، وَالمُسلِمُ مُطَالَبٌ بِأَنْ يَقْتَدِيَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ فِي ذَلِكَ؛ فَيَكُونَ سَهْـلَ الأَخْلاقِ، سَلِسَ الطِّبَاعِ، خَافِضَ الجَنَاحِ، بَعِيدًا عَنِ التَّكَلُّفِ، وَفِي الحَدِيثِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: ((إِنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَيَّ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلاقًا، المُوَطِّئُونَ أَكْنَافًا، الَّذِينَ يَأْلَفُونَ وَيُؤْلَفُونَ، وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجْـلِسًا يَوْمَ القِيَامَةِ الثَّرْثَارُونَ وَالمُتَشَدِّقُونَ وَالمُتَفَيهِقُونَ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، قَدْ عَلِمْنَا "الثَّرْثَارُونَ" وَ"المُتَشَدِّقُونَ" فَمَا المُتَفَيهِقُونَ؟ قَالَ: المُتَكَبِّرُونَ))، فَالمُضِيُّ عَلَى السَّجِيَّةِ مَطْلَبٌ لِضَبْطِ أَخْلاقِ النَّاسِ، وَإِجْرَائِهَا عَلَى سُنَنِ الفِطْرَةِ، وَقَدْ أَمَرَ اللهُ رَسُولَهُ – عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ – أَنْ يَقُولَ: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾(٢)، قَالَ بَعْضُ أَهْـلِ العِلْمِ: " آيَةُ المُتَكَلِّفِ ثَلاثٌ: يَتَكَلَّمُ فِيمَا لا يَعلَمُ، وَيُنَازِلُ مَنْ فَوقَهُ، وَيَتَعَاطَى مَا لا يَنَالُ "، وَلِذَلِكَ تَبْدُو شَخْصِيَّةُ المُتَكَلِّفِ شَخْصِيَّةً هَشَّةً، فَهُوَ سُرْعَانَ مَا يَلْمَعُ فِي دَوْرٍ فَيُؤَدِّيهِ بَعْضَ الوَقْتِ، ثُمَّ يَأْفُلُ وَيَتَلاشَى، فَالتَّكَلُّفُ استِصنَاعٌ بَشَرِيٌّ مُؤَقَّتٌ، يَجْعَلُ المَرْءَ يَغُشُّ فِي أَخْلاقِهِ؛ لِيَتَكَلَّفَ مَا لا يَعْرِفُ، وَيَستَعْمِلَ مَا لا يُرِيدُ.

فَاتَّقُوا اللهَ – عِبَادَ اللهِ –، وَابتَعِدُوا عَنِ التَّكَلُّفِ فِي أَخْلاقِكُمْ، وَأَخْلِصُوا للهِ فِي أَقْوَالِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ، وَنَقُّوا سَرَائِرَكُمْ قَبْـلَ تَنْقِيَةِ مَظَاهِرِكُمْ، وَاجْعَلُوا مِنْ ذِكْرَى مِيلادِ النَّبِيِّ ﷺ بَاعِثًا

(١) سورة ص / ٨٦ .

(٢) سورة ص / ٨٦ .

عَلَى الاقْتِدَاءِ بِهِ، وَالسَّيْرِ عَلَى نَهْجِهِ وَطَرِيقَتِهِ، وَتَجْدِيدِ حُبِّهِ وَطَاعَتِهِ؛ يَغْمُرْكُمُ اللهُ بِرَحْمَتِهِ، وَيُدْخِلْكُمْ فِي الآخِرَةِ فَسِيحَ جَنَّتِهِ.

هَذَا وَصَلُّوْا وَسَلِّمُوْا عَلَى إِمَامِ الْمُرْسَلِيْنَ، وَقَائِدِ الْغُرِّ الْمُحَجَّلِيْنَ، فَقَدْ أَمَرَكُمُ اللهُ تَعَالَى بِالصَّلاَةِ وَالسَّلاَمِ عَلَيْهِ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ حَيْثُ قَالَ عَزَّ قَائِلاً عَلِيْمًا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ (١).

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ وسَلَّمْتَ عَلَى سَيِّدِنا إِبْرَاهِيْمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنا إِبْرَاهِيْمَ، وبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيْمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنا إِبْرَاهِيْمَ، فِي العَالَمِيْنَ إِنَّكَ حَمِيْدٌ مَجِيْدٌ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنْ خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِيْنَ، وَعَنْ أَزْوَاجِهِ أُمَّهَاتِ المُؤْمِنِيْنَ، وَعَنْ سَائِرِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِيْنَ، وَعَنْ المُؤْمِنِيْنَ وَالمُؤْمِنَاتِ إِلَى يَوْمِ الدِّيْنِ، وَعَنَّا مَعَهُمْ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ جَمْعَنَا هَذَا جَمْعًا مَرْحُوْمًا، وَاجْعَلْ تَفَرُّقَنَا مِنْ بَعْدِهِ تَفَرُّقًا مَعْصُوْمًا، وَلا تَدَعْ فِينَا وَلا مَعَنَا شَقِيًّا وَلا مَحْرُوْمًا.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتُّقَى وَالعَفَافَ وَالغِنَى.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ أَنْ تَرْزُقَ كُلاًّ مِنَّا لِسَانًا صَادِقًا ذَاكِرًا، وَقَلْبًا خَاشِعًا مُنِيْبًا، وَعَمَلاً صَالِحًا زَاكِيًا، وَعِلْمًا نَافِعًا رَافِعًا، وَإِيْمَانًا رَاسِخًا ثَابِتًا، وَيَقِيْنًا صَادِقًا خَالِصًا، وَرِزْقًا حَلاَلاً طَيِّبًا وَاسِعًا، يَا ذَا الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ.

اللَّهُمَّ أَعِزَّ الإِسْلاَمَ وَالْمُسْلِمِيْنَ، وَوَحِّدِ اللَّهُمَّ صُفُوْفَهُمْ، وَأَجْمِعْ كَلِمَتَهُمْ عَلَى الحَقِّ، وَاكْسِرْ شَوْكَةَ الظَّالِمِينَ، وَاكْتُبِ السَّلاَمَ وَالأَمْنَ لِعِبادِكَ أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا احْفَظْ أَوْطَانَنَا وَأَعِزَّ سُلْطَانَنَا وَأَيِّدْهُ بِالْحَقِّ وَأَيِّدْ بِهِ الْحَقَّ يَا رَبَّ العَالَمِيْنَ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا اسْقِنَا مِنْ فَيضِكَ الْمِدْرَارِ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الذَّاكِرِيْنَ لَكَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ،

(١) سورة الأحزاب / ٥٦ .

الْمُسْتَغْفِرِيْنَ لَكَ بِالْعَشِيِّ وَالأَسْحَارِ.

اللَّهُمَّ أَنْزِلْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاء وَأَخْرِجْ لَنَا مِنْ خَيْرَاتِ الأَرْضِ، وَبَارِكْ لَنَا فِي ثِمَارِنَا وَزُرُوْعِنَا وكُلِّ أَرزَاقِنَا يَا ذَا الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ.

رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ.

رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوْبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا، وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً، إِنَّكَ أَنْتَ الوَهَّابُ.

رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُوْنَنَّ مِنَ الخَاسِرِيْنَ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِيْنَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، الْمُسْلِمِيْنَ وَالْمُسْلِمَاتِ، الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالأَمْوَاتِ، إِنَّكَ سَمِيْعٌ قَرِيْبٌ مُجِيْبُ الدَّعَاءِ.

عِبَادَ اللهِ:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾.